

أدب الرواية العربية (دراسة في روايات جائحة كورونا)

م.م. أحمد حسين أحمد
الكلية التربوية المفتوحة/ مركز الكرخ الدراسي، وزارة التربية، العراق
البريد الإلكتروني: aha88871@gmail.com

المخلص

شهد العالم منعطفًا مصيريًا مع تفشي جائحة كورونا (كوفيد-19)، ولم تتوقف آثاره عند الحدود الاجتماعية والطبية والاقتصادية، بل امتدت لتضرب الإدراك الإنساني وتحدث صدمة وجودية انعكست عميقًا في الرواية العربية، التي تحولت إلى (مختبر قصصي سردي) يواكب هذه التقلبات، وترصد الدراسة محاور ثلاثة (موضوعية جمالية) أولها تحول (البطل) من فاعل اجتماعي إلى كائن ضعيف محاصر في عزلة إجبارية تزايد فيها الحوار الداخلي، وثانيها (مفارقة المكان) لتبدل مفهوم البيت من مستقر آمن إلى سجن اختياري، وقد تحولت الشوارع إلى فضاءات صامتة تجسد الفناء، وثالثها آليات (التشكيل الجمالي) التي تميزت بوقت دائري رتيب، وتداخل الأجناس عن طريق توظيف اللغة الطبية والرقمية والسخرية السوداء، وفي الجانب التطبيقي، تُحلل الدراسة القلق عبر روايات أربع: (خفافيش كورونا، لإبراهيم رسول)، و(الحب والموت، لعبد القادر عميش)، و(ليليات رمادة، لواسيني الأعرج)، و(كورونا، لقصي الشيخ عسكر).

الكلمات المفتاحية: الرواية العربية، القلق الوجودي، كورونا، البطل الروائي، خفافيش كورونا، الحب والموت، ليليات رمادة.



The Literature of the Arabic Novel (A Study of Novels about the Coronavirus) Pandemic)

Ahmed Hussein Ahmed

Open Education College/Al-Karkh Study Center, Ministry of Education, Iraq

Email: aha88871@gmail.com

ABSTRACT

The world witnessed a fateful turning point with the outbreak of the COVID- 19 pandemic. Its repercussions were not confined to social, medical, and economic spheres; rather, they extended to disrupt human perception and induce an existential shock that left a profound impact on the Arabic novel. Consequently, the novel transformed into a 'narrative laboratory' tracking these fluctuations. This study examines three thematic and aesthetic dimensions: first, the transformation of the 'protagonist' from a social agent into a vulnerable being, confined within a forced isolation that intensified internal monologue; second, the 'paradox of space,' where the concept of home shifted from a secure sanctuary to a voluntary prison, while streets turned into silent spaces embodying mortality; and third, the mechanisms of 'aesthetic formation,' characterized by a monotonous, circular time, and the hybridization of genres through the deployment of medical jargon, digital lexicon, and dark humor. On the empirical level, the study analyzes existential anxiety across three novels: The Bats of Corona by Ibrahim Rasul, Love and Death by Abdelkader Amiche, and The Ramada Nightfalls by Waciny Laredj, And Corona by Qusay Al -Sheikh Aska.

Keywords: The Arabic novel, existential anxiety, Corona, thenovel's protagonist, Corona bats, love and death, Layliyyat Ramada.

المقدمة

شكل وباء كورونا (كوفيد-19) منعطفاً عالمياً لم تتوقف آثاره بحدود المختبرات الطبية والتوازنات الاقتصادية، بل توسعت لتضرب الوعي الإنساني ومخطط العلاقات الاجتماعية، ففي هذا السياق لم يكن الأدب العربي وخصوصاً الروائي بمعزل عن هذه الهزة الوجودية، فقد وجد الكاتب الروائي نفسه أمام (واقع فانتازي) تجاوز في غرابته أقصى حدود خيالات الكتابة السريالية، لذا فرض على الروائي العربي تحدياً كبيراً ومزدوجاً؛ فمن جهة عليه أن يلاحق تسارع الأحداث اليومية هذا من جهة، ومن جهة ثانية كان مطالباً بصياغة رؤية جديدة وجمالية تتجاوز منطق (تقرير الصحفي) أو التوثيق البارد، لذا لم تعد الرواية هنا مجرد مرآة لتعكس الأزمة، بل تحولت إلى (مختبر سردي) يبحث تحولات الهوية العربية وهي تواجه قدراً من اقدار الكون المشترك ولأول مرة بهذه الصورة الشاملة.

وهذا النوع من الكتابة، الذي يمكن تسميته بـ (أدب الجوانح) في هذه النسخة المعاصرة، أعاد الاعتبار للمفاهيم التي كادت تندثر في ظل العولمة، مثل: (الخوف من الآخر)، و(قلق الالتباس الجسدي)، و(وقدسية المسافات)، بينما كان العالم يغلق جميع أبوابه، كانت الرواية العربية قد فتحت نوافذها لتسجيل تلك اللحظات الحرجة التي اهتزت فيها التقنيات الكبرى، فيها تحول الجسد من الوسيط للتواصل إلى مصدر للخوف والتهديد، وتحول البيت من سكن عائلي إلى (منفى داخلي).

ومن هنا، تبرز قيمة بحثنا في محاولة رصد (الجوانب الجمالية) للروائي العربي، كيف استطاع تطوير اللغة المأزومة، لتعبر عن الصمت الذي لحق بالشوارع وضجيج الهواجس، وكيف تمكنت الرواية العربية أن تبني من حطام (الأحداث العابرة) قيم معرفية تؤرخ للإنسان لا للوباء فحسب.

تحولات البطل من الفاعل الاجتماعي الى كائن هش محاصر:

لقد شهدت البنية السردية للرواية العربية الحديثة تحولاً راديكالياً في تمثيل (البطل الروائي) إبان جائحة كورونا، فبعد عقود من سيطرة (البطل الأيديولوجي) أو (البطل الإشكالي) الذي يواجه السلطة أو المجتمع في فضاءات مفتوحة، جاء الوباء ليفرض نمطاً جديداً من الشخصيات يمكن تسميتها بـ (أبطال الانكفاء)¹.

1. سوسيولوجيا التراجع وانكسار المركزية²: في هذا السياق، لم يعد البطل هو ذلك الفرد الذي يغير مجرى التاريخ، بل أصبح (ذاتاً مأزومة) تبحث عن موطن قدم في عالم يتهاوى، وإن كرنا جردت البطل من أدواته التقليدية؛ فالمتقف الذي كان يغير العالم بكلماته، وجد نفسه مسجوناً خلف شاشة زرقاء، يراقب العالم من ثقب (الديجيتال)، فهذا التراجع من خلق بطلاً سردياً يعيش حالة من (الاستلاب البيولوجي)، إذ تصبح غاية الوجود هي الحفاظ على سلامة الجسد لا أكثر، فهنا تتحول الرواية من رصد الصراعات الطبقة إلى رصد (الصراع من أجل البقاء)، وهو انزياح قيمي يعيد تعريف البطولة بوصفها (صموداً صامتاً)³.

2. جماليات الهشاشة والتعرية الوجودية: لقد نجح الروائي العربي استثمار جائحة كورونا لبيان (الهشاشة الإنسانية)، فالبطل يظهر هنا بلا ألقعة، لأنه كائن (خائف، ومرتاب، ومسكون بالوساوس) وهذه الملامح برزت في (البطل المذعور) الذي يخشى المصافحة والاقتراب، ويعيد قراءة علاقته بجسده وما حوله كأنه عدو محتمل، هذا (الارتباك الجسدي) نقل السرد إلى مناطق جديدة في النفس البشرية، إذ تم التركيز على (سيكولوجيا الارتياح)، مما جعل البطل يفكر بان البطولة لم تعد في التضحية من أجل المبدأ، بل في القدرة على الصبر وتحمل (الوحدة الجبرائية)، وتجاوز قلق الموت الذي بات يطرق الأبواب مع كل نشرة أخبار⁴.

3. هيمنة المونولوج⁵ وتضخم الذات: نتيجة لغياب (الأخر) المادي بسبب التباعد، تضخم الحوار الداخلي (المونولوج) في الرواية العربية المعاصرة، إذ أصبح البطل يعيش في (متاهة الذاكرة)، فالرواية لم تعد تلاحق الأحداث في الشوارع، بل تلاحق (تدقق الوعي) داخل البيت، وهذا التحول جعل من الروائي شخصية (فلسفية) بامتياز، تعيد طرح الأسئلة الكبرى: ما الجدوى من الحضارة؟ ما القيمة للقرب الإنساني؟ وكيف للحب أن يستمر في وقت (المسافات الأمانة)؟ فهذا التضخم في الذات على حساب الفعل الخارجي هو ما جعل رواية الجائحة تأخذ طابعاً (استبطانياً) غير من شكل الروائي العربي المعاصر⁶.

مفارقة المكان:

المكان في الرواية العربية المعاصرة لم يعد مجرد مسرح للأحداث، بل تحول إلى (فاعل درامي) يمارس سلطته على الأبطال.

1. إعادة التعريف الداخلي (من السكن إلى السجن الاختياري): لطالما كان (البيت) في السرد العربي هو الملاذ، لكن في ظل الجائحة، اكتسب البيت دلالات أخرى (ديكتاتورية)، وأصبح المكان (الداخلي) هو السجن والحامي في الوقت نفسه، ونجد في الروايات وصفاً دقيقاً لـ (هندسة العزلة) إذ يصبح كل ما في البيت هي المفردات الوحيدة المتاحة للبطل⁷، وهذا الانحباس الداخلي ولد ما يسمى بـ (رهاب المنزل)، إذ يبدأ البطل في اكتشاف تفاصيل في بيته لم يراها طوال سنوات، مما يجعل من البيت مكاناً (هجيناً) يجمع بين الألفة والوحشة⁸.

2. الخارج: على الجهة الأخرى، تحول (الخارج) (الشارع والميدان) إلى فضاء مخيف يشبه أفلام الخيال المظلمة، فالشوارع التي كانت تنبض بالحياة في القاهرة أو بغداد أو بيروت، صوّرت في الرواية العربية المعاصرة كشرايين توقف فيها النبض، فهذا الخلو الإنساني من المكان الخارجي خلق حالة من (اليتم المكاني)، فالبطل الذي ينظر من شرفته يرى مدينة خالية لا يعرفها (صامتة ومريية) فهنا أصبح الخارج هو (الموت)، والداخل هو (الحياة)، وهذه المفارقة خلقت التوتر الدرامي في الرواية⁹.

3. سيمياء النافذة والشاشة: حينما ضاق المكان المادي بمدد المكان (الافتراضي)، وقد أصبحت النافذة في الرواية العربية المعاصرة هي (الرئة) التي يتنفس النص منها، وصار الهاتف هو (الميدان البديل)، فالرواية أرخت لزمان (السيولة المكانية)، إذ ينتقل البطل بين الدول بضغطة زر بينما جسده حبس المنزل، هذا (الانشطار المكاني) بين جسد مقيد وخيال واسع، هو ما أعطى لروايات الجائحة بعداً سرالياً، فتداخل الواقع بالافتراضي، والحقيقة بالوهم، في فضاء روائي منقبض مكانياً ومنفجر دلالي¹⁰.

آليات التشكيل الجمالي في روايات الجائحة:

لم تكن جائحة (كورونا) في المتخيّل الروائي العربي والعراقي مجرد ثيمة أو خلفية طارئة للأحداث، بل تحولت إلى (مختبر جمالي) وتمرد على القوانين الروائية الثابتة التي تحكمه وهذا يعود إلى مستجدات العصر، إذا تحاول الرواية مواكبتها واحتواء قضايا العصر، وإن آليات التشكيل الجمالي في هذه الروايات اتسمت بالانزياح نحو ما يمكن تسميته بـ (سردية الانحباس)، إذ تم استبدال الحركة الخارجية بالاستبطان النفسي، واليقين السردى بالشك الوجودي¹¹.



وتتجلى أولى الآليات في (شعرية العزلة)، وكيفية إعادة صياغة الزمن الروائي، فيبعد أن كان الزمن في الرواية العربية يسير بخطى نحو (الفعل) أو (التغيير)، وجدناه في روايات الجائحة يصاب بما يشبه (التجمد)، هذا التحول نحو (الزمن الدائري) جعل من (الرتابة) قيمة جمالية تعبر عن الانتظار، فالיום لا يفضي إلى غدٍ مختلف، بل هو إعادة إنتاج للخوف نفسه¹².

وفي هذا السياق، نجد الروائي العراقي، الذي عاصر أزمات مثل الحصار والحروب، يمتلك حاسة خاصة في تصوير هذا الزمن، إذ يتقاطع (زمن الحرب) مع (زمن الوباء) الصامت، وهذا ينتج لغة سردية كثيفة تحفر في (الآن) المستمر بدلاً من ما هو ماضي نحو المستقبل.

وتبرز ملامح هذا التشكيل الجمالي في روايات، مثل (كرونا في سوق البغاء) لفكرية احمد، إذ يتحول الزمن من (تاريخ) إلى (مجرد بقاء)، وتصبح الساعة الروائية مضبوطة على إيقاع دقات القلب ووساوس المستشفَى، هذا (الزمن النفسي) سمح للروائيين بالاستفاضة لوصف التفاصيل التي كانت تُهمل سابقاً، وهذا خلق نوعاً من (الاحاطة السردية) الذي بدل غياب الحركة المكانية، فالنافذة في الرواية العربية المعاصرة لم تعد مجرد فتحة للضوء، بل تحولت إلى نموذجاً يفصل بين عالمين متناقضين: داخل آمن إلا أنه مخنق، وخارج مستباح إلا أنه مميت.

ومن هنا يمكننا صياغة المشهد باقتباس سردي يعكس الروح في مدينة دولة عربية مثل مصر التي اظلمت فيها (شوارع القاهرة، اغلقت المحلات، والمطاعم، والمقاهي، وكل شيء اختفى، المارة من الشارع، والعشاق من الحقائق... ماتت الحياة في القاهرة التي كانت لا تنام زحماً وصخباً... حرب فيروسات هاجمت العالم كله، ووصلت إلى مصر، فايروس كورونا كوفيد19)¹³.

أما الآلية الجمالية الثانية، تتمثل في (تداخل الأجناس)، ولقد تحطمت الحدود بين الجنس الروائي الصافي وبين الوسائط المعاصرة، إذ استوعب المتن الروائي (اليوميّات، والرسائل الرقمية والمنشورات على مواقع التواصل الاجتماعي) كجزء أصيل من البناء الدرامي، وتوظيف (اليوميّات) منح الرواية صبغة (الشهادة الوجدانية)، وحول الراوي من محرك للأحداث إلى (شاهد عيان) للأحداث يسجل تفتت العالم حوله¹⁴.

والاستطراد النقدي هنا يوضح أن إقحام (اللغة الرقمية) من (رسائل مواقع التواصل الاجتماعي) داخل الرواية لم يكن مجرد رصد للواقع، بل كان محاولة لتأسيس ولقع افتراضي جديد، لتعويض غياب الفضاء العام، فالمقهى الذي كان ساحة لحوار روايات (نجيب محفوظ أو غائب طعمة فرمان)، تم استبداله بـ (المجموعات الرقمية)، مما خلق لغة حوارية هجينة تجمع بين فصاحة السرد وسرعة (الترند)¹⁵.

وهذا التداخل للأجناسي نلمسه بعمق عند تحليل (اللغة الطبية) التي اقتحمت النص الروائي، إذ تحولت المفردات مثل (المسحة، العزل، بروتوكول العلاج) من دلالاتها العلمية الجافة إلى (استعارات كبرى) تعبر عن التقييد الإنساني، والروائي العربي والعراقي اشتبك مع هذه اللغة ليحول (المستشفى) إلى رمز عالمي معاصر، إذ إن الإنسان ليس سوى (عينة) تخضع للتجربة والرقابة، وهذا ما يقودنا إلى آلية (السخرية السوداء) كأداة دفاعية جمالية، فالسخرية في رواية الجائحة تمثل (تكتيك النجاة) الأخير، وايضاً هي الطريقة التي يهزم بها البطل رعب الموت عبر تحويل المأساة إلى ملهارة مريرة.

وفي عالمنا الرقمي الجديد، صار المصير معلقاً برنة هاتف أو إشعار يخبرني أنني (سالم أو موجب)، وقد مثلت منشورات (الفيسبوك) جوقة يونانية تعلق على نهايتنا الوشيكة، وبينما كان الخبراء يتناقشون



حول سلالات الفيروس، كنا نحن الضحايا نتناقش حول جودة المعقم ورائحة الكلور التي أصبحت عطرنا القومي الجديد، وقد تحولت مدينة بغداد إلى لوحة سرالية، إذ الكمائن بمختلف الأشكال هي الأفعى التي نرتديها لنوهم الموت بأننا لسنا نحن، أو لعنا نرتديها لنقنع أنفسنا بأننا ما زلنا نملك وجوهاً تستحق الحماية¹⁶.

إن هذا الاستطراد النقدي يقودنا إلى استنتاج أن آليات التشكيل الجمالي في روايات جائحة كورونا، قد أسست لما يمكن تسميته بجماليات (الانكفاء)، وهي جماليات لا تحتفي بالبطولة والانتصار، بل بالهشاشة والقدرة على التأمل وسط الركام، ونجح الروائي العربي في تحويل (الحصر المكاني) إلى (اتساع دلالي)، مستخدماً لغة مشحونة بالرموز والوسائل المعاصرة، مما جعل رواية الجائحة وثيقة إنسانية تتجاوز التقرير الطبي نحو أفاق النقد الوجودي الشامل، معيدةً بذلك صياغة علاقة الأدب بالواقع في لحظات الانكسار الكبرى.

ومن التنظير الجمالي إلى المختبر التطبيقي، لنعاين كيف تجسدت خلفيات الوباء، وخطاب الموت، والقلق الوجودي في نصوص روائية محددة، متمثلة في بعض الروايات العربية. أولاً: خطاب الموت والرعب في رواية (خفافيش كورونا):

تعد رواية (خفافيش كورونا) للروائي العراقي (إبراهيم رسول) واحدة من أبرز الروايات التي اشتبكت مع الصدمة الأولى للجائحة في العراق، فالنص هنا لا يكتفي بالرصد الطبي، بل يغوص في نواحي أخرى (سيكولوجيا الجمع) المذعور، ليحاول تفكيك بنية الرعب التي سيطرت على الناس في الشارع العراقي.

يستعمل إبراهيم رسول العنوان (خفافيش كورونا) لخلق توازياً بين الكائن البيولوجي (الخفاش) وبين الموت الخفي الذي يتربص بالمدينة، ويأتي هذا التشبيه نتيجة الجشع والاستغلال الذي أصاب البعض لاستغلال الناس لكسب المراتب¹⁷.

والموت هنا ليس مجرد توقف للعلامات العامة والحيوية، بل يمثل (موت اجتماعي) عبر عزل المصاب ونبذه، فالروائي يركز على خطاب الموت عبر تصوير المستشفى العراقية كساحات حرب خاسرة، إذ يتحول الأكسجين فيها إلى عملة نادرة، ويصبح التنفس فعلاً بطولياً بحد ذاته، وخطاب الموت عند إبراهيم يتسم بالسوداوية، إذ يربط بين تاريخ العراق المشبع بالحروب وبين الموت الصامت الذي لا يحتاج إلى رصاص¹⁸، ويتبين ذلك بوضوح في قوله: (هذه القصص تخالف ما شاع من أن الكثير تخطى عن ذويه لإصابته بالوباء، كثيراً من الأخوة والأبناء وربما الأبناء لم يبروا ذويههم خوفاً من انتقال عدوى الإصابة إليهم، لكن ما وجدته في المستشفى هنا يعكس كل الكثير، أصبحت كورونا الغربال الذي تغربل به المحبة، مهما حصل فإن الجبناء لم يعطوا من أنفسهم شيئاً بعكس الذين وقفوا يتحدون الوباء وجهاً لوجه، كأن الوباء أعلن هزيمته أمام إرادتهم القوية وتقانيهم في الاخلاص لذويهم، كنت أشتي أن تأتي ساعة العلاج لتضع هذه الممرضة يدها على يدي وهي تفتح الكانيولا ليمشي العلاج في الوريد، أتى الليل وقد بدأ رقااص الساعة يكاد يدق على وتر قلبي، تأتي الساعة الموعودة وتمضي الدقائق)¹⁹.

وقد أقبلت كورونا لتمثل العدالة التي ابتعدت عن البشرية طويلاً، إذ جعل إبراهيم رسول الجميع سواسية أمام الجائحة دون تمييز بين غني وفقير، ليقف الكل في صمت ووجل، أمام هذا الكائن الذي لا يُرى بالعين المجردة، خضعت شخصيات لها مكانتها وثقلها في مجالات القوة والعلم والفن والسياسة، حيث عجزت الأحوال والأموال والنفوذ للتوسط لها أو حمايتها، لذلك رحلت شخصيات مستسلمة ومعلنة هزيمتها أما هذا الكائن الصغير²⁰.

ثم ينتقل رسول ويذكر أن القادم أسوأ مالم تتدخل يد غيبية لإنقاذ الناس من نهايات مؤلمة تسير نحوها بسرعة، فالإنسان يرفض رؤية هذا الفناء القادم الذي يهدد الحياة بصورة مباشرة ومخيفة، معداً جائحة

كورونا إنذاراً تدخل به البشرية مرحلة جديدة ومجهولة الملامح، وفي ظل الوضع يعيش الروائي في حيرة وهو يتابع آراء العلماء على منصات التواصل الاجتماعي، ليجد التشاؤم مسيطراً على عقولهم وأفكارهم، دون بريق يبعث الأمل في المستقبل²¹.

وقد يتبين القلق الوجودي في الرواية عبر شخصياتها التي تعيش حالة من (الاغتراب عن الجسد)، فالجسد كان مصدر المسرة أصبح في (خفافيش كورونا) مصدراً للتهديد، ويستعرض رسول طريقة تهافت القيم الاجتماعية أمام غريزة البقاء، إذ يصور حالات الابتعاد من الجثث والخوف من تشييع الموتى، وهذا يمثل ذروة الاستسلام الوجودي للإنسان العراقي الذي عرف بتقديسه للمقابر²²، وهذا ما نجده بقوله: (الشعور الذي يتحكم بحالتك، إن كنت تشعر بالسعادة أو التعاسة أو الصحة والمرض، أن تشعر بالظلم هو الذي يولد الظلم، وإن تشعر بالخوف من الوباء ستجلب الوباء الى نفسك وسيؤذيك لأنك تخشاه، الحالات في تزايد ملحوظ، الناس التزمت الحجر الصحي، واختفت الحركة من الشوارع إلا الضرورات، الفقرات التزموا بما أمرت به خلية الازمة، الشوارع مغلقة، الناس بدأت تستشعر الألم والخطر الذي بدأ يقترب أكثر منهم، التخبط واضح، اطلاق التصريحات غير المسؤولة، احتار الناس في الامر)²³.

ثانياً: توظيف الشخص في (رواية الحب والموت).

تعد رواية (الحب والموت) للروائي عبد القادر عيش من الأعمال التي تتخذ من (البعد النفسي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي)، ركيزة أساسية لها، وقد اعتمد الكاتب في على توظيف مدروس للشخصيات، لتبين الصراعات المتعددة التي عاشها المجتمع، خاصة في الاوقات الحرجية من تاريخ الجزائر المعاصر (مثل فترة العشرية السوداء وتدايعاتها)، لذلك تمثل الشخصيات الرئيسية في رواية الحب والموت الزوج والزوجة (قبل وفاة خديجة، ومع بداية إعلان الحظر الكلي وتفشي فيروس كورونا وانتشار الرعب بسبب انتقال عدوى الفيروس، عمد إلى قراءة كل ما تضمنه مكتبته من مؤلفات الطواعين، وكتب النواذر قديمها وحديثها، بل حتى الكتب الرقمية مستعيناً بشبكة الإنترنت، رتب تلك الكتب بعناية قريباً من السرير، وكان يقضي وقتاً خاصاً فقط ليتأمل بذعر عناوينها، وأحياناً يغمض عينيه واضعاً يده مفتوحة على واحد منها، متخيلاً الأخبار والأحداث المرعبة)²⁴.

إن ذكر (قبل وفاة خديجة) يوحي لنا أن البطل كان يرى الموت قادماً من جهتين، جهة (الوباء الذي يهدد العالم)، وجه (المرض أو الرحيل الذي يهدد شريكته)، فالقراءة في (مؤلفات الطواعين) قد تكون تجربة يأسه لفهم (طريقة الموت) التي أوشكت أن تأخذ أعلى ما يملك، ثم انتقل إلى ترتيب الكتب بالقرب من السرير، الذي يحمل دلالة كبيرة وموجعة، فالسرير الذي كان رمزاً المودة مع خديجة، ثم أصبح مرقداً للرعب مكن لكتب الأوبئة، وكان البطل هنا يعوض (جسد الزوجة) بـ(أجساد الكتب)، للبحث عن ونيس في طيات التاريخ بعد أن أوشك الرحيل الحقيقي عن ونيسه.

وفي زمن توقفت فيه الانفاس تحت وطأة (كورونا)، وبينما كان العالم ينغلق على نفسه خلف الجدران والكمادات، كان هناك صراع غير معلن يعصف بأرواح الكوادر الطبية، فالطبيب (صالح) الذي قضى سنواته في أروقة المستشفيات، وصل إلى الانفجار، حينما شعر أن سماعته الطبية لم تعد تسمع نبض الوطن، بل تستطيع سماع أنين المحتضر، وسط هذا القهر واليأس قرر أن يذهب بنفسه في حضن المجهول، تاركاً خلفه كل شيء، بحثاً عن دفعة تعيد له إنسانيته التي تآكلت في طوابع الانتظار، وعلى هذا الانفجار والحصر النفسي (حرق الطبيب صالح ركب البوطي، صوب الشاطئ إيطاليا بدون كمادة جاثمة كورونا في ذروة الخطر، وعلى صدره تتدلى سماعته الطبية، ترك خطيبته الممرضة، ومضى متحدياً فيروس كورونا)²⁵.



فذا المشهد يعكس عبثية الخطر، إذ استصغر الموت بالفيرس أمام الموت قهراً، محولاً بذلك رحلة الهجرة لـ(صرخة كفاءة) تائهة تبحث عن إنسانيتها ومصيرها المفقودة وسط أمواج البحر بعدما ضاقت بها الحياة باليابسة.

ثالثاً: القلق الوجودي في رواية (ليليات رمادة):

تعد رواية (ليليات ورمادة) للروائي الجزائري (واسيني الأعرج) مرثية روائية تعين الهشاشة الإنسانية العامة، وعزلة الحجر الصحي لـ(جائحة كورونا)، مبرزة تحول البيوت إلى سجون والمدن إلى أماكن موحشة يسكنها الخوف والوسواس، وتتقرب الرواية في عمق الأسرار والذاكرة الدفينة للأبطال عبر تلك الأيام الطويلة والمثقلة بـ(رمادية) الفناء والانتظار، لتفكك كبرياء الحضارة الحديثة أمام كائن صغير مجهرى أعاد صياغة العلاقات الاجتماعية والوجودية والعاطفية للبشر.

فقد قاربت نصوص الروائي ومقالاته السردية الجائحة من زاوية (هشاشة الحضارة) فهو يرى في الوباء (زلزالاً) كشف زيف القوة البشرية، وإيضاً يركز الروائي على خطاب الموت بوصفه تجربة قاسية تعيدنا إلى البدائية، إذ ينقل لنا (واسيني الأعرج) عبر توصيفه لهذه لحالة أخبار البطلة في روايته، فيقول: (ليال كثيرة مضت فقدنا فيها الكثير من جيران اهلي، الكثيرون ماتوا من الخوف من الوباء وليس الوباء)²⁶.

فنجسد الروائي في هذا النص (سيكولوجية الهلع) في زمن الاوبئة، إذ يتحول (الخوف) من شعور إلى (قاتل مادي) يتجاوز في فتكه ميكروبات الجائحة، فالنص يبرز هشاشة الإنسان حين تفقد الأمان، محولاً الذكريات إلى رثاء بارد، فالموت في هذا الموضع لم يكن بيولوجياً بقدر ما هو انهياراً نفسياً أمام ما هو مجهول، مما يجعل الذعر الجمعي الذي وصل القلوب قبل أن تصل العدوى.

وفي عوالم الكاتب، لا يمر الموت مروراً عابراً، بل يترك بعده (رماداً) يسكن المكان وتفاصيل البيوت الخالية، ويصور البقاء كنوع من (القصاص)، إذ تتحول الجدران إلى مرايا تبين عجز الإنسان من مواجهة قدر غير معلوم، ليقف البطل في مواجهة فراغ ويتساءل عن مدى النجاة في وطن أفرغه الرحيل²⁷، (كيف أصبح هذا البيت خالياً من كل لمسة أو حتى من أية صرخة؟ أهى لعنة العائلة أم لعنتي؟ أهو الموت الأعمى الذي سرق الكل وتركني ليمعن في تعذيب)²⁸.

يتبين من هذا النص نفس (واسيني الأعرج الوجودي)، إذ يغدو (البيت الفارغ) رمزاً للضياع وفقدان جذور الحياة، فالنص يطرح (امكانية الناجي) بمرارة، لأن الموت هنا ليس (أعمى) صدفة، بل هو فعلٌ (يغالي في التعذيب) بإبقاء الشاهد وحيداً، ثم تتداخل (اللغة الشخصية) بـ(لعنة العائلة) لتبين (تراجيديا الإنسان) الذي يرى في استمراره بالحياة عقوبة قاسية، مبدلاً الصمت المنزلي إلى (صرخة مبهمة) تدن غيب الأمان والطمأنينة الإنسانية.

نلمح في نصوص واسيني الأعرج نزعة فلسفية تمزج بين الوجد الفردي والوجد الكوني، الذي يوضح أن واسيني يستخدم الجائحة كأداة لـ(نقد الحداثة)؛ فالعالم الذي تفاخر بالسرعة والتكنولوجيا، أجبره الفيرس على التوقف والصمت، ثم ان القلق الوجودي هنا ينبع من (فقدان السيطرة)، حيث يتحول الإنسان من سيد للأرض إلى كائن مذعور يبحث عن نجات مستحيلة في فضاء (اللايقين).

رابعاً: النهاية وتداخل الواقع بالخيال، في رواية (كورونا):

تعدّ رواية (كورونا) للروائي (قصي الشيخ عسكر) نصاً مبكراً في المواجهة الأولى لصدمة الوباء، إذ بدأ في تدوينها مع الأيام الأولى لظهور الجائحة وتتبع تحولاته الزمانية والمكانية، عبر اليوميات السردية المكثفة؛ ليحول المرض من ظاهرة بيولوجية، إلى كائن خفي غير معروف، يهدد الحضارة الإنسانية بنهاية مفترضة.

ومع اتساع رقعة الجائحة وتأثيرها على الروائي العربي وتحولاته، لم يقف الكاتب عند حدود التوصيف الفوتوغرافي لما يحدث، بل تجاوزه إلى بناء الرؤية النقدية والفلسفية التي تمس الوجود الإنساني في لحظات انكشافه الهش أمام الجائحة، وتتجسد هذه التحولات عند (عسكر) عبر الشواهد النصية التي تبين تحولات الواقع مع المحاور الموضوعية والجمالية في الرواية، إذ يقول: (كان المذيع يثير اهتمامي بالخبر الجديد... ضحيتان لحد الآن... والخوف من موت قد يكتسح العالم بسبب فايروس غريب الشكل أشبه بتيجان الملكات والملوك)²⁹.

يمزج الكاتب بين واقعية الكارثة (موت يكتسح العالم) وتخيّلها الرمزي بتشبيه فايروس الجائحة بـ(تيجان الملوك)، ليبين انكسار الحدود بين الحقيقة والخيال وتجسيد الوباء كأنها سلطة مستبدة تعلن بداية (النهاية) الكاملة للإنسان.

وتتجسد عتبة التحول الوجودي في الرواية عند الكاتب، حينما يتقاطع المألوف اليومي الذي يمثل بداية رحلة لكسب العيش مع ظهور المجهول الذي هدد المجتمع برمته، ففي اللحظة التي يسعى الإنسان للاندماج في الواقع الاجتماعي، تتدخل المخيلة الفاجعة لترسم كابوس كاسح، فيداخل واقع الحياة بخيال الرعب الوجودي، ويتداعى الإحساس بالاستقرار أمام قوة غير واضحة المعالم تعيد صياغة للـ(النهاية) والعد التنازلي لذلك، كما يتبين في قوله: (وهذا أول يوم لي في العمل، أول يوم لانطلاق فايروس جديد من الصين، يوم ينذر برعب قادم حقاً، قد يتحمل البشر القتل وصنوف الأسلحة الفتاكة، أما أن يحاربهم شيء لا يرونه، يداهم فجأة)³⁰.

فالنص هنا يختزل مفارقة الانتهاء الوجودي بدمج الواقعية للروتين اليومي بخيال هول المجهول، ليحول الوباء إلى عدو أسطوري يعلن البداية الشاملة لنهاية الإنسان.

ومن كابوس الشارع والوباء، ينتقل الكاتب إلى عزلته الداخلية ومواجهة خيالات الحلم، بقوله: (أعرضت عن سباق الكورونا والناصرية. بل راجعت وأنا أتناول الفطور آخر أرقام الضحايا. لم يعد يهمني العدد، الآن تذكرت، قلت من قبل ربما حلمت، تأكدت الآن انه حلم غير اعتيادي)³¹.

يتبين من هذا حالة الفصام النفسي والتجرد العاطفي أمام الفناء اليومي، إذ يفقد الرقم دلالاته الفادحة ليتساوى الوباء بآلام الناصرية، وينطوي الراوي نحو عزلته الذاتية، ليصبح الاستغراق في خيالات الحلم آلية دفاعية تغطي الواقع المشحون بضباب التخيل، وبهذا يلتحم الواقع بالخيال، محولاً الكابوس الوبائي إلى حلم طارئ يقطع الصلة بما هو معروف ومألوف ويكشف عشوائية النهاية.

ومما تقدم يتبين لنا أن وباء كورونا مثل تحولاً (راديكالياً) في الروايات العربية، إذ نقلت البطل إلى كائن ضعيف محاصر، والمكان إلى (سجن داخلي) وفضاء خارجي للفناء، وتحليل الروايات المنتخبة، يتجلى بروز ونجاح الأدب العربي في ابتكار (جماليات الانكفاء) عبر (المونولوج) واللغة



الرقمية والسخرية والطبية، مكرساً المتن السردي كوثيقة تؤرخ (للشاشة الإنسانية وللقلق الوجودي) لا للوباء فحسب.

المصادر والمراجع

1. أصداء رواية ساعة عدل، د. محمد فتحي عبدالعال، ديوان العرب للنشر والتوزيع، 2024م.
2. الجائحة، نورا محمد المطيري، دار كتاب للنشر والتوزيع، الامارات، ط1/2021م.
3. الدليل التشخيصي والاحصائي للاضطرابات النفسية، الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين، دار الكتاب الجامعي، ط5/2014م.
4. الفضاء المعلوماتي، د. حسن مظفر الرزوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
5. الفكر وسوسولوجيا الفشل، شوقي جلال، مؤسسة هنداوي، 2023م.
6. ثيمة الوباء وقلق الاكوان، قراءة في رواية (خفافيش كورونا)، ظاهر حبيب الكلابي، صفحة نخيل العراق، 2021/8/7، <https://www.iraqpalm.com/ar/a.2535>
7. ربيع كورونا مستويات التلقي ومسارات التأويل، د. سماح حمدي، دار ام الدنيا، القاهرة، 2022م.
8. رواية الحب والموت في زمن كورونا، عبدالقادر عميش، دار الخيال للنشر، ط1، 2022م.
9. رواية خفافيش كورونا، إبراهيم رسول، دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 2021م.
10. رؤى وتأملات مختارات سردية، سميح مسعود، الآن ناشرون وموزعون، ج2/2023م.
11. فانتازيا الكورونا، قصص قصيرة، طه كبسة، دار لمار للنشر والتوزيع، 2020م.
12. كورونا في الرواية العربية بين الواقع والتمثيل، عليلي ايمان، مجلة احالات، المجلد 6، عدد خاص، 2024م.
13. كورونا في سوق البغاء، فكرية احمد، دار النخبة، 2021م.
14. كورونا، قصي الشيخ عسكر، دار امل الجديد، دمشق- سوريا، 2021م.
15. ليليات رمادة، واسيني الاعرج، منشورات بغداد، الجزائر، ط1.
16. ينظر: عالمية السرد، دراسات في السرد العربي الحديث، زهير محمود عبيدات، الآن ناشرون وموزعون، ط1.
17. يوم كنا نمشي على الطريق، مجموعة قصصية زمن كورونا، عامر حريري.
18. الاغتراب، يحيى عبدالله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م، ص218.
19. عالمية السرد، دراسات في السرد العربي الحديث.

الهوامش

1. ينظر: ربيع كورونا مستويات التلقي ومسارات التأويل، د. سماح حمدي، دار ام الدنيا، القاهرة، 2022م، ص58.
2. ينظر: الفكر وسوسولوجيا الفشل، شوقي جلال، مؤسسة هنداوي، 2023م، ص146.
3. ينظر: عالمية السرد، دراسات في السرد العربي الحديث، زهير محمود عبيدات، الآن ناشرون وموزعون، ط1، ص45-46.
4. ينظر: ربيع كورونا مستويات التلقي ومسارات التأويل، ص208.
5. المونولوج هو (حديث لا مستمع له لانه حديث غير منطوق ويعد اداة للحوار مع الآخر الذاتي) ينظر: الاغتراب، يحيى عبدالله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م، ص218.
6. ينظر: الجائحة، نورا محمد المطيري، دار كتاب للنشر والتوزيع، الامارات، ط1/2021م، ص7 وما بعدها.



- ⁷. ينظر: رؤى وتأملات مختارات سردية، سميح مسعود، الآن ناشرون وموزعون، ج2/2023م، ص140-145.
- ⁸. ينظر: الدليل التشخيصي والاحصائي للاضطرابات النفسية، الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين، دار الكتاب الجامعي، ط5/2014م، ص248-250.
- ⁹. ينظر: يوم كنا نمشي على الطريق، مجموعة قصصية زمن كورونا، عامر حريري، ص45-47.
- ¹⁰. ينظر: أصداء رواية ساعة عدل، د. محمد فتحي عبدالعال، ديوان العرب للنشر والتوزيع، 2024م، ص98.
- ¹¹. ينظر: ربيع كورونا مستويات التلقي ومسارات التأويل، ص271.
- ¹². فانتازيا الكورونا، قصص قصيرة، طه كبسة، دار لمار للنشر والتوزيع، 2020م، ص72.
- ¹³. كورونا في سوق البغاء، فكرية احمد، دار النخبة، 2021م، ص224.
- ¹⁴. ينظر: الفضاء المعلوماتي، د. حسن مظفر الرزوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص96-99.
- ¹⁵. ينظر: المصدر نفسه.
- ¹⁶. ينظر: عالمية السرد، دراسات في السرد العربي الحديث، ص6.
- ¹⁷. ينظر: كورونا في الرواية العربية بين الواقع والمتخيل، علي ايمان، مجلة احالات، المجلد 6، عدد خاص، 2024م: ص153.
- ¹⁸. ينظر: كورونا في الرواية العربية بين الواقع والمتخيل، علي ايمان، مجلة احالات، المجلد 6، عدد خاص، 2024م: ص153.
- ¹⁹. رواية خفافيش كورونا، إبراهيم رسول، دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 2021م: ص152.
- ²⁰. ينظر: رواية خفافيش كورونا، ص178.
- ²¹. رواية خفافيش كورونا، ص178.
- ²². ينظر: ثيمة الوباء وقلق الاكوان، قراءة في رواية (خفافيش كورونا)، ظاهر حبيب الكلابي، صفحة نخيل العراق، 2021/8/7، https://www.iraqpalm.com/ar/a_2535.
- ²³. خفافيش كورونا، ص116.
- ²⁴. رواية الحب والموت في زمن كورونا، عبدالقادر عميش، دار الخيال للنشر، ط1، 2022م، ص8.
- ²⁵. رواية الحب والموت في زمن كورونا، ص7.
- ²⁶. ليليات رمادة، واسيني الاعرج، منشورات بغداد، الجزائر، ط1، ص13.
- ²⁷. ينظر: ليليات رمادة، ص34.
- ²⁸. ليليات رمادة، ص35.
- ²⁹. كورونا، قصي الشيخ عسكر، دار امل الجديد، دمشق- سوريا، 2021م، ص18.
- ³⁰. كورونا، ص28.
- ³¹. كورونا، ص52.